

التحرير والتنوير

والمقصود : التعريض بتهديد المشركين الذين كذبوا الرسول طغيانا هم يعلمونه من أنفسهم كما كذبت ثمود رسولهم طغيانا وذلك هو المحتاج إلى التأكيد بالقسم لأن المشركين لم يهتدوا إلى أن ما حل بثمرود من الاستئصال كان لأجل تكذيبهم رسول الله ﷺ إليهم فنبههم الله بهذا ليتدبروا أو لتنزيل علم من علم ذلك منهم منزلة الإنكار لعدم جري أمرهم على موجب العلم فكأنه قيل : أقسم ليصيبكم عذاب كما أصاب ثمود ولقد أصاب المشركين عذاب السيف بأيدي الذين عادوهم وآذوهم وأخرجوهم وذلك أقسى عليهم وأنكى .
فمفعول (كذبت) محذوف لدلالة قوله بعده (فقال لهم رسول الله ﷺ) والتقدير : كذبوا رسول الله ﷺ .

وتقدم ذكر ثمود ورسولهم صالح عليه السلام في سورة الأعراف .
وباء (بطغواها) للسببية أي كانت طغواها سبب تكذيبهم رسول الله ﷺ إليهم .
والطغوى : اسم مصدر يقال : طغا طغوا وطغيانا والطغيان : فرط الكبر وقد تقدم عند قوله تعالى (ويمدهم في طغيانهم يعمهون) في سورة البقرة وفيه تعريض بتنظير مشركي قريش في تكذيبهم بثمرود في أن سبب تكذيبهم هو الطغيان والتكبر عن اتباع من لا يرون له فضلا عليهم (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) .
و (إذ) ظرف للزمن الماضي يتعلق ب (طغواها) لأن وقت انبعاث أشقاها لعقر الناقة هو الوقت الذي بدت فيه شدة طغواها فبعثوا أشقاها لعقر الناقة التي جعلت لهم آية وذلك منتهى الجراءة .

وانبعث : مطاوع بعث فالمعنى : إذ بعثوا أشقاها فانبعث وانتدب لذلك . و (إذ) مضاف إلى جملة (انبعث أشقاها) .
وقد ذكر هذا الطرف عن موقعه بعد قوله (فقال لهم رسول الله ﷺ ناقة الله ﷻ) لأن انبعاث أشقاها لعقر الناقة جزئي من جزئيات طغواهم فهو أشد تعلقا بالتكذيب المسبب عن الطغوى ففي تقديمه قضاء لحق هذا الاتصال وإفادة أن انبعاث أشقاها لعقر الناقة كان عن إغراء منهم إياه ولا يفوت مع ذلك أنه وقع بعد أن قال لهم رسول الله ﷺ ناقة الله ﷻ ويستفاد أيضا من قوله (فعقروها) .

وأشقاها : أشدها شقوة وعني به رجل منهم سماه المفسرون قدار " بضم القاف وتخفيف الدال المهملة " بن سالف وزيادته عليهم في الشقاوة بأنه الذي باشر الجريمة وإن كان عن ملائمتهم وإغراء .

والفاء من قوله (فقال لهم رسول الله) عاطفة على (كذبت) فتفيد الترتيب والتعقيب كما هو الغالب فيها . ويكون معنى الكلام : كذبوا رسول الله فتحداهم بآية الناقة وحذرهم من التعرض لها بسوء ومن منعها شربها في نوبتها من السقيا وعطف على (فكذبوه) أي فيما أُنذِرهم به فعقروها بالتكذيب المذكور أول مرة غير التكذيب المذكور ثانيا . وهذا يقتضي أن آية الناقة أرسلت لهم بعد أن كذبوا وهو الشأن في آيات الرسل وهو ظاهر ما جاء في سورة هود .

ويجوز أن تكون الفاء للترتيب الذكري المجرد وهي تفيد عطف مفصل على مجمل مثل قوله تعالى (فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه) فإن إزلا لهما إبعادهما وهو يحصل بعد الإخراج لا قبله . وقوله (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا) فيكون المعنى : كذبت ثمود بطغواها إذ انبعث أشقاها . ثم فصل ذلك بقوله (فقال لهم رسول الله) إلى قوله (فعقروها) والعقر عند انبعث أشقاها وعليه فلا ضرورة إلى اعتبار الطرف هو (إذ انبعث أشقاها) مقدما من تأخير .

وأعيدت عليهم ضمائر الجمع باعتبار أنهم جمع وإن كانت الضمائر قبله مراعى فيها أن ثمود اسم قبيلة .

وانتصب (ناقة الله) على التحذير والتقدير : احذروا ناقة الله . والمراد : التحذير من أن يؤذوها فالكلام من تعليق الحكم بالذوات والمراد : أحوالها . وإضافة (ناقة) إلى اسم الجلالة لأنها آية جعلها الله على صدق رسالة صالح عليه السلام ولأن خروجها لهم كان خارقا للعادة .

والسقيا : اسم مصدر سقى وهو معطوف على التحذير أي احذروا سقيا أي احذروا غضب سقيا فالكلام على حذف مضاف أو أطلق السقيا على الماء الذي تسقى منه إطلاقا للمصدر على المفعول فيرجع إلى إضافة الحكم إلى الذات . والمراد : حالة تعرف من المقام فإن مادة سقيا تؤذن بأن المراد التحذير من أن يسقوا إبلهم من الماء الذي في يوم نوبتها .